(جورج براك .. عازف الريشة .. والسكين)

(١٨٨٢ - ١٩٦٣)

G Braque

طائـــر يطيـــر

يهجر الأعالي كما لو كانت غلالات عديمة الجدوى

لم يخش الضوء أبداً ،

حبـــيـــس أجوائـــه ،

لم يسقط لـــه ظـــل ،

* * *

قشور الحصاد هشمتهـــا الشمـــس ،

كل الأوراق في الغابات تقول نعم ،

لا تعـــرف إلا أن تقـــول نـــعـــم ،

كـــل ســـؤال ، كـــــل جـــواب ،

والندى يتدفق فـــي أعماق النعـــم ،

* * *

رجل رقيق العينين يصف سماء الحب

يـجـمـع منـهـا الـروائـع

كمـا تجمـع الأوراق فـي الغابـات

كمـا تجمع الطيـور فـي أجنحتهـا

وكمـا يجمع الرجـال فـي الشمـس

* * * * *

ولد جورج براك بمدينة **أرجونتوي** الفرنسية في الثالث عشر من مايو عـام ١٨٨٢ لجد وأب لهما علاقة بالفن التشكيلي ، فالأول كان تاجراً لأدوات الرسـم والأخير كان بائعاً للوحات الفنية .. فتح براك عينيه إذن على الألوان ، واختبر أنفه رائحة الزيت والجواش فالتحق بمدرسة الفنون الجميلة " **القسم الحر** " وهو بعد تلميذ بمدرسة الليسيه .. وكان براك يتمتع بحيوية ولياقة بدنية وصفاء ذهن نتيجة لممارسة رياضة السباحة والملاكمة والدراجات ، فضلا عـن حبه للرحلات وعشقه للموسيقى ، إلى جانب إجادته للعزف على الفلوت .. ولم تعقه فترة الخدمة العسكرية عام ١٩٠٢ عن متابعة كل هذه الهوايات التي تركزت في هواية واحدة سرعان ما تحولت إلى طريق ومستقبل وحياة خاصة ، بعد أن تخرج في أكاديمية هامبير للفنون عام ١٩٠٦ ، وعرض أولى لوحاته في منطقة أوتفير .. جـاءت هذه اللوحات الأولى استجابة مباشرة لتيار " **الحوشية** " الجارف الـذي كان " **ماتيس** " قد أطلقه منذ عام واحد .. ولكن براك لم ينجرف تماماً في هـذا التيار ، فبعد عشرين لوحة فقط أحس بأن " **الحوشية** " تضحي بالشكل في سبيل الألوان ، بينما يريد هو أن يوفق بينهما .. فبدأ

بتجربة اللون الواحد ودرجاته ، مستفيداً من تجارب " **سيزان** " الناجحة في مجال اللون بشكل عام .. أما في التكوين فقد استعان بفن " **الأرابيسك** " وإن أدخـــل عليه بعض التعديلات أو التغييرات ، فقد حول الخطوط المستقيمة إلى زوايا ومثلثات ودوائر .. ورُفضت هذه اللوحات من صالون الخريف عام ١٩٠٨ ، فزاده ذلك الرفض اصراراً على مواصلة طريقه وتحقيق استقلاليته ، وفرض أسلوبه .. فبعد أن عاب الناقد التشكيلي " **فوكسيل** " على براك انغماســه في الأشكال الهندسية وبخاصة المكعبات ، اكتشف براك ومعه **بيكاسو** عام ١٩٠٧ في حضرة الشاعر " **أبوللينير** " ما سمي "**بالتكعيبية**" التي سادت لفترة طويلة وجذبت إليها عباقرة الفن في ذلك الوقت.. هذه التكعيبية ذاتها هي التي دفعته إلى الاهتمام برسم " **الطبيعة الصامتة** " .. فظهرت الآلات الموسيقية وأبرزها الكمان والفلوت ، ثم لجأ إلى محاولة إيجاد هذه الآلات بطريقة بارزة حتى تكتسب حياة ملموسة فأدخل " **الكولاج** " أو القص واللصق مستخدماً ورق النوتة الموسيقية والأوتار والخشـــب، وتوسع بعض الشئ في استخدام الألوان فأضاف إلى جانب الأسود والرمادي والبيج والأزرق والأخضر والأصفر .. وأدخل الحروف الهجائية البـــارزة مكوناً أسماء شهيرة مثل **باخ وبال** ..

صحيح أن بيكاسو هو صاحب أول لوحة تكعيبية في تاريخ الفن الحديث وهي لوحة " فتيات أفينيون " المرسومة ببساطة وبلا أي ظلال ولكن الصحيح أيضاً أن جـــورج براك يعد بحق رائد التكعيبية الذي وضع الأصـــول والأساليب والفلسفة وجعل منها إضافة في قسم التصوير الحديث.. ولا غرابة في ذلك فقد اشترك براك مع بيكاسو في معرض واحد في باريس عام ١٩٠٧ يحمل اسم " معرض الشابين " فعرضا لوحاتهما التكعيبية دون أي إشارة ، كذلك لم يشر النقاد إلى أي شئ جديد إلى أن تحدث هنري ماتيس

الفنان التشكيلي الشهير عن لوحات براك مشيراً إلى المكعبات والغرائب التكعيبية ... وتبعه الناقد لوي فوكسل فوضع المصطلح وروج له كثيراً حتى تصدى بيكاسو متحفظاً قائلاً " إننا لا نقصد التكعيب وإنما هدفنا هو التعبير عن دخيلة أنفسنا " وقال براك " التكعيبية أو أي أسلوب آخر هو مجرد وسيلة نلتمس بها إدخال قسم التصوير في نطاق إمكانياتنا ، ولم نكن نعلم أننا تكعيبيين حين استخدمنا هذه الطريقة " ..

أصيب براك أثناء الحرب العالمية الأولى في يوم عيد ميلاده الثالث والثلاثين، كما أصيب في أعقاب الحرب العالمية الثانية بمرض غريب ولكن فوزه " **بيانلي فينسيا** " عام ١٩٤٨ أعاده إلى فنه المنتشر في معارض فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا والولايات المتحدة حتى رحل في آخـــر أغسطس عام ١٩٦٣ عن واحد وثمانين عاماً حافلة بالانطلاق والعطاء الفني..

يقول براك " إنني أترك الفراغ المرئي إلى الفراغ الملموس " وهكذا فتح المجال أمام زملائه من التكعيبيين ليحققوا هدفهم الأخير وهو استخدام الأوراق والخامات كالرمل والزجاج والملابس ، فثبتوها في لوحاتهم لخلق الواقع الشاعري الجديد دون إيهام بالواقع الطبيعي .. وهكذا اتجهوا إلى الإبداع وليس الاختراع وأقلعوا عن تصوير المناظر الخلوية ليركزوا على الوحدة الإنسانية .